

أضواء البيان

@ 296 @ اتسم بالعلم في علم الإعراب ، وتوقير أهله . انتهى منه . وذكر نحوه أبو حيان وفسره طائناً أنه أوضحه ، ولا يظهر لي كل الظهور ، والعلم عند الله تعالى . . .
فإن قيل : كيف قال : فتصبح مع أن اخضرار الأرض ، قد يتأخر عن صبيحة المطر . . .
فالجواب : أنه على قول من قال : فتصبح الأرض مخضرة : أي تصير مخضرة فالأمر واضح ،
والعرب تقول : أصبح فلان غنياً مثلاً بمعنى صار . وذكر أبو حيان عن بعض أهل العلم : أن
بعض البلاد تصبح فيه الأرض مخضرة في نفس صبيحة المطر . وذكر عكرمة وابن عطية وعلى هذا
فلا إشكال . وقال بعضهم : إن الفاء للتعقيب ، وتعقيب كل شيء بحسبه كقوله : { ثُمَّ
خَلَقْنَا الذُّطُفَةَ - عِلَاقَةَ - فَخَلَقْنَا الْعِلَاقَةَ - مُضْغَةَ } مع أن بين ذلك
أربعين يوماً كما في الحديث ، قاله ابن كثير . وقوله : لطيف خبير : أي لطيف بعباده ،
ومن لطفه بهم إنزاله المطر وإنباته لهم به أقواتهم ، خبير بكل شيء ، لا يغرب عن عمله
مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض سبحانه وتعالى علواً كبيراً . . .
قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّاهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءً فِي الْأَرْضِ رُضًا
وَالْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبِحَارِ بِأَمْرِهِ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة :
أن الله سخر لخلق ما في الأرض ، وسخر لهم السفن تجري في البحر بأمره ، وهذا الذي ذكره
هنا جاء موضحاً في مواضع كثيرة كقوله : { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَاءً فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَاءً فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ } وقد بينا معنى تسخير ما في السماء بإيضاح في
سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى : { وَحَفِظْنَا هَذَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ
{ وَءَايَةٌ لَهُمْ أَنْزَلْنَا زُلْفًا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِ
الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ } وقد أوضحنا الآيات
الدالة على هذا في سورة النحل وغيرها . . .
قوله تعالى : { وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ }
. ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أنه هو الذي يمسك السماء ويمنعها من أن تقع على
الأرض ، فتهلك من فيها ، وأنه لو شاء لأذن للسماء فسقطت على الأرض فأهلك من عليها ، كما
قال : { إِنْ زُلْفًا نَخَسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ رُضًا } . ونسقطه على أيهم كسفاً
مِّنَ السَّمَاءِ . وقد أشار لهذا المعنى في غير هذا الموضع كقوله تعالى : { إِنْ
اللَّهُ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ رُضًا أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ
أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَجْدٍ مِّنْ بَعْدِهِ } .

